أحمد الباهي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة

تناوب الصيغ في الشرط

يعالج هذا المقال مشكلا رئيسا أثير حول علاقة أدوات الشرط بالتأويل الزمني؛ حيث يعتبر النحاة أن أدوات الشرط تحمل زمنا يمكنها من قلب زمن الصيغة التي تقع في حيزها.[1] وقد قادهم هذا التصور إلى اعتبار الصيغ التي ترد بعد أدوات الشرط صيغا بديلة. ونستلهم عمل هرنستين (Hornstein (1990، ونبين أن بنية الزمن في الصيغة مستقل عن أدوات الشرط التي تحمل مضمونا وجهيا لا غير، وأن الصيغ بعدها تعبر عن أزمنة مختلفة.

المقال منظم بالشكل الآتي: نقدم في الفقرة الأولى وصفا لبنيات الشرط عبر ضبط أهم الخصائص الدالة في تحديد مفهوم الشرط. وباعتماد درجات الافتراضية التي تعبر عنها موجهات الشرط، نصنف في الفقرة الثانية، بنيات الشرط إلى ثلاثة أنواع. وتطرح الفقرة الثالثة إشكال التأويل الزماني في بنيات الشرط؛ حيث نفترض أنه يخضع للقيود نفسها التي تضبط تركيب الزمن في الجمل خارج مجال الشرط.

[1] انظر *الكتاب*، وشرح *المفصل* على سبيل المثال.

1. تعريف الشرط

يعرف الشرط في الأدبيات اللغوية بكونه وقوع الشيء لوقوع غيره. وهو لا يتحقق إلا بوجود جملتين تربط بينهما أداة شرط. تسمى الجملة الأولى من بنية الشرط جملة الشرط والثانية جملة الجواب.

وهذا يعني وجود علاقة سببية (causal) بين جملة الشرط وجملة الجواب؛ إذ تعتبر جملة الشرط سببا وعلة لجواب الشرط. ولهذا أطلق النحاة القدامى لفظ الجزاء والجواب على جملة الشرط.

غير أن هذا القيد غير كاف لوصف بنيات الشرط. باعتماد العلاقة السببية وحدها، نضطر إلى توسيع معطيات الشرط. وهذا ما دفع اللغويين القدامى إلى تصنيف أدوات الشرط وحصرها في لائحة بلغت عند جلهم أربعة عشرة أداة، بالرغم من أن هذه الأدوات لا رابط بينها سوى مفهوم التعليق، كما أن جلها لا يعبر عن الشرط باعتباره وجهة. وهذه الأدوات كالتالي: "إن"، "إذا"، "لو"، "لما"، "ما"، "من"، "أنّى"، "إذ ما"، "حيثما"، "متى ما"، "أيٌّ ما"، "أينما"، "كيفما"، "مهما".

كما أن اعتماد التعليق لا يرفع اللبس عن مجموعة من الأدوات باعتبارها تفيد الشرط أو القراءة الزمانية، كما هو الحال بالنسبة لوصف استعمال "إذا"، بالرغم من أن أغلب النحاة يجعلونها تدل في أصل الوضع على الزمان.[2]

نعتقد أن السمة الأساسية في الشرط ليست هي التعليق، وإنما التعبير عن درجات في الافتراضية. وهذا العنصر، كما سنرى، أعم من التعليق؛ إذ يمكننا من تقليص أدوات الشرط إلى اثنين أو ثلاثة، على الأكثر. وهي: "إن"، "لو" و"إذا" (إذا اعتبرناها، تجاوزا، تدل على الافتراض). أما باقي الأدوات فلا يوجد فيها الفرض الذي هو الشرط، وإن كانت تتضمن مفهوم التعليق.[3]

2. درجات الافتراضية

نقصد بلفظ الافتراضية (hypotheticality) الدرجة الاحتمالية المسندة إلى تحقق الأوضاع التي يعبر عنها الشرط، وبخاصة الوضع الذي تعبر عنه جملة

---

[2] *الكتاب*، ج. 3، ص. 60. وقال في ج.4، ص. 232. "أما" إذا "فلما يستقبل من الدهر، وفيها المجازاة، وهي ظرف". ولهذا سماها المبرد "المؤقتة". انظر *المقتضب* ج. 2، ص. 55.

[3] يميز غرينبيرغ Greenberg (1986) بين ثلاثة أنواع من الجمل الشرطية في اليونانية الكلاسيكية: الخاص، العام، المضاد للواقع. الشرط العام في مقابل الشرط الخاص يقابل التمييز بين الشرط المحدد (إذا، إن) وغير المحدد (indefinite) (من، ما، مهما، كيفما...الخ). والشرط العام "لا يقيم أي افتراضات بخلاف الخاص" *(257)*.

الشرط. ويمكن تصنيف جمل الشرط، من حيث دلالتها على الافتراض، إلى درجات ثلاث، حسب نوع أداة الشرط:

أ) مؤكدة الوقوع

تعبر جملة الشرط عن حدث مقطوع بوقوعه، أو مؤكد الوقوع. ويتم هذا المعنى باستعمال الرابط "إذا" نحو:

(1) آتيك إذا احمر البسر[4]

ذلك أن احمرار البسر من الأمور المقطوع بحصولها، كما أن وقت حصوله محدد ومعلوم. يقول المبرد: "إذا قلت: إذا أتيتني، وجب أن يكون الإتيان معلوما، ألا ترى إلى قوله عز وجل:{إذا السماء انفطرت}[5] و{إذا الشمس كورت}[6] و{إذا السماء انشقت}[7] أن هذا واقع لا محالة، ولا يجوز أن يكون في موضع هذا "إنْ" لأن الله عز وجل يعلم. و"إنْ" إنما مخرجها الظن والتوقع

[4] انظر *الكتاب*، ج. 3، ص. 61.

[5] سورة الانفطار، آية 1.

[6] سورة التكوير، آية 1.

[7] سورة الانشقاق، آية 1.

فيما يخبر به المخبر".[8] و"لهذا كثر في الكتاب العزيز استعماله لقطع علام الغيوب سبحانه بالأمور المتوقعة".[9]

ب) محتملة الوقوع

وتختص "إنْ" بإفادة هذه الدرجة من الافتراضية، نحو:

(2) إن تخرجْ أدخلْ

إن حدث الخروج في جملة الشرط غير مقطوع بحصوله. إنه محتمل؛ قد يقع وقد لا يقع. ولهذا اعتبر النحاة أنّ "إنْ" "موضوعة لشرط مفروض وجوده في المستقبل مع عدم قطع المتكلم لا بوقوعه فيه ولابعدم وقوعه. وذلك لعدم القطع في الجزاء، لا بالوجود ولا بالعدم سواء شك في وقوعه كما في حقنا أو لم يشك".[10] ولهذا سميت"إن" مبهمة لأنها لا تستعمل إلا فيما كان مشكوكا في وجوده.

وزمن الشرط ب "إن"، حسب النحاة، هو المستقبل بالرغم من أن صيغتي جملتي الشرط والجواب قد تكونا على صورة الزمن الماضي. وقد عللوا دلالة

---

[8] *المقتضب* ج. 2، ص. 56.

[9] شرح *الكافية*، ج. 2، ص. 108. وقد ذكر النحاة سياقات أخرى لمجيء"إذا" غير شرطية، انظر المرادي، ص. 367–270، *والمغني*، ص. 92–104.

[10] شرح *الكافية*، ج. 2، ص. 109.

الزمن بعدها على الاستقبال بكون الأفعال"المستقبلة قد توجد وقد لا توجد"،[11] نحو:

(3) أ) إن خرجت غدا خرجت

ب) *إن خرجت أمس خرجت

ج) معدومة الوقوع

إن استعمال أداة الشرط "لو" يجعل الحدث في جملة الشرط معدوم الوقوع أو مضادا للواقع، كما في (4):

(4) لو جئت خرجت

حيث حدث الخروج مستحيل الوقوع لاستحالة وقوع المجيء. ولهذا خصص النحاة "لو" بكونها "لما كان سيقع لوقوع غيره"؛[12] ذلك "أنها تقتضي فعلا ماضيا كان يتوقع ثبوته لثبوت غيره، والمتوقع غير واقع. فكأنه قال "لو" حرف يقتضي فعلا امتنع لامتناع ما كان يثبت لثبوته".[13]

وزمن الشرط ب "لو" هو الماضي مطلقا، نحو[14]

---

[11] نفسه، ص. 4.

[12] *الكتاب*، ج. 4، ص. 224.

[13] *الجنى الداني*، ص. 165.

[14] نعتقد أنه لا مانع من إتيان صيغة "يفعل" مع "لو"، كما في:

لو تزورنا غدا.

وذلك إذا كان التلفظ بهذه الجملة يعلم علم اليقين أن حدث الزيارة غير ممكن.

(5) أ) لو خرجت أمس خرجنا

ب)*لو خرجت غدا

3.التأويل الزماني وأشكال الصيغة في الشرط

إن أحد مظاهر إحالة الزمن المشتركة بين اللغات الهندو أوربية في الشـــرط الذي يتوفر على درجة عالية من الافتراضية هو تقليص التميـــيزات الزمنيـــة؛ حيث يتم في الغالب تحييد التمييز حاضر/مستقبل. ويتم التعبير عـــن مختلـــف الأزمنة باللجوء إلى قلب الزمن إلى الوراء؛ أي استعمال الزمن الماضي صرافيا للتعبير عن الزمن الحاضر(أو المستقبل)، واستعمال الماضي المكتمل للإحالة على الزمن الماضي، كما في الأنجليزية:[15]

(6) If he came, I would run away

(إن جاء ذهبت)

(7) If he had come, I would have run away

(لو جاء ذهبت)

[15] انظر كمري (1986) Comrie ص. 9.

وأحيانا هناك غياب للتمييزات الزمنية. ويتجلى هذا بوضـــــوح في اللغـــة الروسية؛ فهي تتوفر على تمييز ثلاثي للزمن(الماضي/ الحاضر/ المستقبل) إلا أنها في الشرط ذي الافتراضية الأعلى لا تقيم تمييزا زمنيا:

(8) Esli by ty prisel, ja byl by rad

(If you came/ had come Iwould be/ have been glad)

(إنْ جئت/ لو جئت سررْت)

والملاحظ أن اللغة العربية، كذلك، تستعمل صيغة الماضي"فَعل" وصيغـــــة "يفعل" على حد سواء مع إرادة الزمن المستقبل:

(9) أ) إن خرجت(غدا) خرجت

ب) إن تخرجْ أخرجْ

وهذا السلوك الذي تكاد تميل إليه أغلب اللغات يمكن إرجاعـــــه إلى علاقـــة أدوات الشرط، باعتبارها موجهات تـــدل علـــى درجـــات في الافـــتراض، بالأشكال الزمنية في الفعل. وهذا ما سنجيب عنه.

يتفق أغلب النحاة على أن "أفصح" الأساليب الشرطية أن تكـــون جملتــا الشرط والجواب بفعلين متفقين لفظا ومعنى. قال الفراء : "وأكثر الجزاء علـــى

أن يتفق هو وجوابه، فإن قلت: إن تفعلْ أفعلْ فهذا حسن".[16] وقد اعتبر هـذا التركيب أحسن من غيره، لأن "أصل الجزاء أن تكون أفعاله مضارعة لأنـــه يعربها، ولا يعرب إلا المضارع".[17]

ويلي هذا التركيب في "الفصاحة" التركيب الذي يكون طرفاه مـــاضيين لفظا. قال سيبويه: "وإذا قال: إن فعلت، فأحسن الكلام أن تقول فعلت، لأنه مثله".[18]

أما إذا اختلفت صيغتا الشرط ف "الأحسن" أن تكون صيغة جملة الشـــرط ماضية وصيغة الجواب مضارعة. قال الرضي : "وإن تخالفا ماضيا ومضارعـا، فالأولى كون الشرط ماضيا والجزاء مضارعا كقوله تعالى{من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ}[19] وعكسه أضعف الوجوه".[20] وقـــال السـيوطي: إن تخالف الفعلان لفظا فالأحسن" أن يكون الأول ماضيا والثاني مضارعـا، لأن فيه الخروج من الأضعف إلى الأقوى؛ وهو من عدم التأثر إلى التأثر، نحـو: إن

16 *معاني القرآن*، ج. 2، ص. 6.

17 *المقتضب*، ج. 2، ص. 49.

18 *الكتاب*، ج. 3، ص. 91-92.

19 سورة هود، آية 15

20 شرح *الكافية*، ج. 2، ص. 261.

قام أقمْ". [21] أما التركيب الذي يكون الطرف الأول مضارعا والثاني ماضيا فاعتبره النحاة خاصا بالضرورة الشعرية.

ونفس المبدأ تقريبا ، أي القلب الذي يتحدث عنه كومري (1986) وغيره في تحليل جمل الشرط في الأنجليزية يقوم عليه تحليل النحويين العرب القدامى؛ حيث اعتبروا أن الأصل في أدوات الشرط- ما عدا "لو" و"لما"- أن تقلب زمن الصيغة من الماضي إلى المستقبل، كما في:

(10) إن جئت (غدا) جئت

ولا فرق عند النحاة بين التركيب أعلاه والتركيب الذي يكون طرفاه فعلين مضارعين، كما في:

(11) إن تخرجْ أخرجْ

إن اعتماد فكرة القلب مهمة إلا أنها تجعل إجراء تناوب الصيغ مسألة اعتباطية. ثم إن بعض النحاة اعتبروا أن الأصل في النفي ب"لم" أن تدخل أولا على الماضي، إلا أنها لما كانت عاملة قلبت الصيغة التي بعدها إلى صيغة "يفعل" حتى تعمل فيها الجزم، ولذلك اعتبروا أن الفعل بعدها وإن كان لفظه غير ماض فإن معناه الماضي. وهذا يعني أن قلبها مسألة يحتمها الإعراب. و هذا التصور كان ينبغي أن يكون حاضرا في أثناء تحليل الشرط ب "إن" لأنها تعمل

[21] *همع الهوامع*، ج. 2، ص. 58.

الجزم مثل "لم". حيث كان ينبغي ألا نجد صيغة الماضي بعد "إن" بما أنها تعمل. وهكذا يبدو أن التصور الذي يعتمد القلب يلجأ إليه في وصف بنيات دون أخرى. كما أن هذا الحل الذي يدخل في باب الصنعة، حتى يستقيم الوصف مع الأصول، في العربية كما في الأنجليزية، يبدو حلا مكلفا و فراديا.

وأكثر من ذلك إذا كان القلب حرا فلماذا لا نجد معطيات من نحو:

(12) أ)*خرجت إذا خرجت (غدا)

ب)*خرجت إن خرجت(غدا)

(13) أ)*خرجت إذا تخرج(غدا)

ب)*خرجت إن تخرجْ

(14) أ)* آتيك إن تأتني

ب)* أجيئك إذا تجيئني

في حين نجد التراكيب التالية:

(15) أ) أجيئك إذا احمر البسر

ب) أضربُك إن ضربتني

الملاحظ أن هناك أشكالا زمنية معينة تستعمل حين يكون جواب الشرط سابقا لجملة الشرط. وهذا السلوك لا يكفي لتخريجه اعتماد مفهوم القلب كما وظفه القدماء. بل أكثر من ذلك، يدل هذا السلوك على أن القلب، إن كان صالحا، ينبغي أن تكون التراكيب (12)-(15)سليمة. ولذلك تطرح

الأسئلة التالية: لماذا لا يقبل، إطلاقا، جواب الشرط في البنيات أعلاه صورة الزمن الماضي؟ ولماذا لا تأخذ جملة الشرط، إطلاقا، صورة الحاضر/المستقبل؟ ولماذا يقبل، فقط، البنية التي يكون فيها الجواب في صورة الحاضر/المستقبل وجملة الشرط في صورة الماضي؟

لقد لاحظ اللغويون القدامى هذا السلوك لكن لم يقفوا عنده كثيرا. واكتفى، جلهم، بالإشارة إلى أن هذه الاختلافات ناتجة عن اعتبارات عاملية إعرابية محض. قال الرضي "واعلم أنه إذا تقدم على الشرط ما هو جواب في المعنى، فالشرط لا يكون إذن، إلا ماضيا لفظا أو معنى، نحو : أضربُك إن ضربتني وأضربك إن لم تعطني، وإنما جاز ذلك حتى لا تعمل الأداة في الشرط لفظا كما لا تعمل فيما هو كالجزاء عند البصرية، أو ما هو جزاء عند الكوفية. وقد جيء في الشعر مضارعا نحو: آتيك متى تأتني".[22] ونفس التحليل وجد عند سيبويه من قبل. قال "تقول : آتيك إن أتيتني، ولا تقول: آتيك إن تأتني إلا في شعر، لأنك أخرت "إنْ" وما عملت فيه، و لم تجعل ل "إنْ"جوابا يجزم بما قبله".[23]

[22] شرح *الكافية*، ج. 2، ص. 258. وانظر *الهمع*، ج. 2، ص. 61.

[23] *الكتاب*، ج. 3، ص. 66 و70. ويوجد من النحاة من علل السبب في امتناع تقديم الجواب إذا كان ماضيا وجوازه إذا كان مضارعا، إلى كون المضارع أصل في حين ليس الماضي كذلك. جاء في *الهمع*، ج.2، ص.61: "وذهب أبو عثمان المازني إلى أنه يجوز تقديم الجواب على الشرط إن كان مضارعا فقط ويمتنع إن كان ماضيا،

لو افترضنا أن هذا التخريج، الذي يقوم على اعتبارات عاملية صحيحا لتفسير السبب في إمكان مجيء جواب الشرط مضارعا وامتناع مجيئه ماضيا، لكان ينبغي أن تكون البنية (14ب) ممكنة، بما أن "إذا" لا تعمل.

ومهما يكن، إن حصر الشرط ب "إنْ" في الزمن المستقبل و اعتماد إجراء قلب الزمن في الصيغ التي على صورة الماضي حل يصعب الدفاع عنه، خصوصا في التراكيب التي توجد بها "كان" الناقصة، كما في(16):

(16)* إن كان جاء غدا...

فلو اعتبرنا أن "إنْ" تحمل تخصيصا زمنيا لاصقا للمستقبل، وأن ما يقع في حيزها من أزمنة ينبغي أن تسقط في المستقبل، لكان ينبغي أن نجد (16). ثم إن كانت أداة الشرط، فعلا، حاملة للزمن، فإنه باعتماد مفهوم الحيز ينبغي أن تتناوب الأشكال الزمنية دون قيد وشرط مادام كل ما بعدها يقع في حيزها. والحال أن هذا غير ممكن.

إن مجيء "كان" بعد الأداة جعلت عددا من النحاة يتردد في الأصل العام؛ وهو أن أدوات الشرط، ما عدا "لو" و"لما"، تقلب زمن الجملتين إلى المستقبل.

لأن المضارع هو الأصل، فلم يكثر فيه التجوز بخلاف الماضي، فإنه يجوز فيه بأن عبر بصيغته عن المستقبل. فإن تقدم وحقه التأخير كثر التجوز".

فبعض النحاة، وهم قلة، يذهبون إلى أنها إن وقعت شرطا أحالت معناهـــا إلى الاستقبال، نحو{إن كنتم جُنُبا فاطهروا}.[24] ويذهب بعضهم إلى أنها حين تقع شرطا تبقى على مدلولها من المضي؛ أي إن أدوات الشرط لا تغـــير دلالتـــها الزمنية، نحو{إن كان قميصه قُدَّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين}.[25]

واضح أن "كان" حين تقع شرطا ل "إنْ"، فإن الحدث الذي بعدها يـــؤول تارة باعتباره وقع في الماضي ويؤول تارة على المستقبل، كأن "كان" لازمـــان فيها، أحيانا.[26]

لماذا هذه المفارقة وكيف نفسر هذا السلوك؟ للإجابة عن هذا السؤال نحتـــاج إلى توسيع معطيات التعبير ب "كان" وضبط سياقاتها داخل الجمل الشرطية.

لنتأمل البنيات التالية:

(17) أ) {إن كان قميصه قدَّ من دبر فكذبت}[27]

ب) {إن كنت قلته فقد علمته}[28]

---

[24] سورة المائدة، آية 16.

[25] سورة يوسف، آية 16.

[26] يقول الفراء، *معاني القرآن*، ج. 2، ص. 5-6: " و "كان" قد يبطل في المعنى، لأن القائل يقول: إن كنـــت تعطيني سألتك. فيكون كقولك: إن أعطيتني سألتك".

[27] سورة يوسف، آية 16.

[28] سورة المائدة، آية 116.

ج) إن كنت فِعلا(قد) جئت(أمس) فقد جئت قبلك

د)*إن كنت جئت غدا سافرت معك

حين نتأمل المعطيات أعلاه، نلاحظ ما يلي:

إنّ أداة الشرط "إن" في (17)، حيث يشير الزمن (كان فعل) إلى الماضي المكتمل، لا تقلب الزمن بعدها إلى الاستقبال، كما يبين لحن (17د). كما أن جواب الشرط يمكن تأويله على أنه تحقق في الماضي كذلك. غير أن هذا ليس ضروريا في كل الحالات، كما في (18)، حيث الجواب لم يتحقق بعد.

(18) إن كنت حفظت دروسك، فإنك ستنجح لا محالة

أما إذا كان الفعل في الجواب مقرونا بالفاء، فإنه يؤول باعتباره ورد أيضا في الماضي. وقد روى السيوطي أن النحاة قالوا "إن الفعل المقرون بالفاء و" قد "ظاهرة أو مقدرة يكون جواب الشرط ماضي اللفظ والمعنى".[29] ودلالة "إن" في هذا التركيب ليس الزمن المستقبل، وإنما الافتراض في الماضي (الماضي في الماضي الإفتراضي). وبالرغم من أن معنى البنية هنا للافتراض في الماضي إلا أن هناك فرقا بينه وبين الافتراض في الماضي مع أداة الشرط "لو". ذلك أن مضمون الافتراض هنا للحدث المشكوك فيه، أي غير مقطوع بحدوثه. في حين يكون الافتراض في الماضي مع "لو" للحدث المقطوع بعدم وقوعه.

[29] *همع الهوامع*، ج. 2، ص. 59.

والذي يدل على هذا الاختلاف تأويل الزمن في جواب الشرط؛ فمع الشـرط ب "إن" يمكن أن يكون الحدث الذي يعبر عنه الجواب قد تحقق في المـاضي. ولهذا يمكن أن يرد مسبوقا ب"قد". أما مع "لو" فلا مجال للحديث عن تـأويل الجواب في الماضي، بما أن الحدث لم يقع ولن يقع أصلا. ولذلك أيضا لايمكـن أن يرد مسبوقا ب "قد":

(19) *لو كنت جئت فقد جئت

ولأن الحدث في جواب الشرط ممتنع الوقوع لامتناع وقوع جملة الشرط، فـإن الجواب مع "لو" قد لا يكون مذكورا، بخلاف جواب "إنْ" كما في:

(20) أ) (آه) لو جاءت هند

ب) لو لطمتني ذات سوار

(21)* إن جئت

وهذا يعني أن هناك علاقة بين الشرط المضاد للواقع الذي تعـبر عنـه "لـو" والتعبير عن نفس المعنى في الجمل البسيطة، حيث لا تظهر إلا جملة الشـرط. غير أن النحاة لم يربطوا بينهما، بالرغم من أنهم خرجوا هذا النوع من البنيات على التمني الذي يعني عدم تحقق الحدث. وهكذا اكتفوا بملاحظة استعمالاتها المتعددة ورصدوها باعتبارها أنواعا من المعاني.[30]

[30] انظر *الجنى الداني*، ص. 162-180.

والتحليل الذي قدمناه يغنينا عن هذه التفريعات الجزئية. ومن النتائج المباشرة، كذلك، لهذا التحليل أن "لو" لا تحمل في ذاتها زمنا، ولهذا تدخل على الماضي مثلما تدخل على صيغة المضارع.

نستخلص، إذن، أن أداة الشرط "إنْ" لا تقلب زمن الصيغة التي تقع في حيزها إلى الزمن المستقبل. وهذا دليل على أنها لا تحمل الزمن في ذاتها، وإنما تدل على وجهة الافتراض. وهذه الوجهة تتفاعل مع قيم الزمن والجهة والوجهة التي ترافق أشكال الصيغة بعدها، كما يظهر من الأمثلة التالية:

(22) أ) إن كنت جئت أمس كافأتك

ب)*إن كنت جئت غدا كافأتك

(23) أ) إن كنت جالسا غدا فأتني

ب) إن كنت جالسا أمس في المقهى فقد عرفت ما حصل

ج) إن كنت غدا في الدار زرتك

د) إن كنت، فعلا، في الدار أمس أطلقوا سراحك

(24) أ) إن كنت تعرف ما حصل أمس فكن شاهدا على ذلك

ب)*إن كنت تعرف الخبر غدا أخبرني

(25) أ) إن كنت تريد الذهاب غدا أخبرني

ب)*إن كنت تريد الذهاب أمس أخبرني

(26) أ) *إن كنت تسافر غدا أخبرني

ب) إن كنت ستسافر غدا أخبرني

وهكذا، إذا كانت "إنْ" لا تقلب الزمن بعدها ولا تتوفر إلا على تخصيص يهم وجهة الافتراض، فكيف نخرج البنيات من نحو (27)، حيث جملة الشـــرط في صيغة الماضي مع وجود ظرف استقبال؟

(27) إن خرجت(غدا) خرجت

إن إمكان مجيء ظرف الزمان "غدا" في (27) غير كاف لاستنتاج أن بنية الزمن فيها للمستقبل البسيط. فظرف الاستقبال غير محصور في هذا المعنى، وإنما قــد يرد مع أزمنة أخرى، كالمستقبل المكتمل (أو الماضي في المستقبل)، وكالمستقبل في الماضي كما في (28أ) و(28ب) على التوالي:

(28) أ) سيكون وصل غدا

ب) كان سيصل غدا

إن توزيع ظرف الاستقبال "غدا" مع مختلف هذه البنيات الزمنية يقودنـــا إلى إعادة تخريج البنية (27) تخريجا مختلفا عما أورده النحاة.

إن الحل الأقل كلفة هو أن نعتبر أن جملة الشرط في البنية (27) تعبر عـــن المستقبل المكتمل (أو الماضي في المستقبل)، الذي تعكسه البنية (29) خـــارج مجال الشرط.

(29) سيكون خرج غدا

غير أن هذه الصورة لا تظهر في الشرط:

(30) *إن سيكون خرج غدا

ومرد ذلك أن البنية يوجد فيها موجهان "إن" وحرف التنفيس، والحال أن اللغة العربية، وربما كل اللغات الطبيعية، لا تقبل أن يدخل موجه على آخر؛ إذ هما في توزيع تكاملي.[31]

وإذا كان هذا التحليل صحيحا، فإنه يتم تشذيب "سيكون" وتبقى الصورة "فَعَلَ" دليلا على هذا الحذف. وفي هذه الحالة تدل بنية المستقبل المكتمل حين تأتلف مع أداة الشرط على" الماضي في المستقبل الافتراضي. وهذا التخريج قد لا ينسحب فقط على العربية وإنما يمكن أن يعمم على لغات أخرى التي تظهر نفس السلوك. ففي الأنجليزية، عوض أن نرصد مجيء الصيغ على غير دلالتها، باعتماد مفهوم قلب الزمن إلى الوراء، كما فعل كومري (1986)، في (7) المعادة تحته:

(7) If he came, I would run away

[31] انظر بصدد تفاعل الموجهات مع أدوات النفي وأدوات الشرط، الفاسي الفهري (1993) والباهي (2001)، ص. 211-221.

يمكن تخريج جملة الشرط في (7)، كما فعلنا في (27)، على التعبير عن الماضي في وضع افتراضي في المستقبل؛ أي إن صورة الماضي تعبر عن المستقبل المكتمل وليس عن المستقبل. وذلك لأن أداة الشرط "if" لا تقبل، كما هو الشأن في العربية، أن يليها الموجه "will"، كما يبين لحن الجملتين في (31):

(31) أ) *If I will come

ب) *If I will have come

ومن مزايا هذا التحليل، أنه يغنينا عن الأحكام التي اضطر النحاة إلى اللجوء إليها لتمييز بنيات الشرط بالنظر إلى درجات في الفصاحة، كما يفسر لماذا يمكن أن يكون جواب الشرط، حين يرد متقدما على جملة الشرط، مصرفا في صيغة "يفعل" وليس مصرفا في الزمن الماضي كما يظهر من (32):

(32) أ) أجيئك إن /إذا جاء زيد

ب)*جئتك إن/إذا جاء زيد

إن التأويل الزمني الطبيعي يقتضي ألا يحل جواب الشرط في الماضي، لأنه يقع بالضرورة بعد زمن جملة الشرط. ومن ثمة، بما أن زمن جملة الشرط خرجناه على تأويل الماضي في المستقبل، فإن الإحالة الزمنية لجواب الشرط ينبغي ألا تكون سابقة عن زمن جملة الشرط. غير أنه يكون مفيدا أن نحصل على هذا التأويل بالنظر إلى القيود الزمنية. وبالفعل هذا ما يتم إذا عاينا سلوك أدوات الشرط بالنظر إلى سلوك الروابط الزمنية عموما. حيث يمكن أن نتنبأ بأنه

يعكس زمن جواب الشرط في علاقته بجملة الشرط السلوك نفسه الذي تظهره الجمل الملحقة الناعتة لزمن الجملة الرئيسية.[32] لنلاحظ الجملتين التـــاليتين في علاقتهما بالجملتين في (32):

(33) أ)*جئتك حين يكون زيد قد وصل غدا

ب) أجيئك حين يكون زيد قد وصل غدا

فمثلما يتحقق جواب الشرط بعد جملة الشرط في (32)، فإن حدث المجــيء في (33) يتحقق بعد تحقق الوصول. ومثلما أن جواب الشرط لا يمكن أن يــرد في الماضي، نجد أن الفعل الرئيسي في (33) لا يمكن أن يكون في الماضي أيضـــا. وبالتالي، فإن سلوك (32) مقارنة مع ما في (33) ليس اعتباطا أو محض صدفــة، وإنما يدل على أن نفس القيود الزمنية التي تخضع لها عموما الروابط الزمنيـــة يمكن أن تنسحب على أدوات الشرط. وهذا يقودنا إلى معالجتها باعتبارهـــا روابط زمنية، إلا أنها تختلف عن الروابط الأخرى، في كونها لا تقـــرن بـــين حدثين واقعيين (factual)، وإنما تربط بين حدث قد يكون واقعيا أو محتمــلا أو مضادا للواقع بحدث آخر معلق عليه حسب نوع الأداة.[33]

---

[32] انظر الباهي (2001) الفصل الثالث من الباب الأول من القسم الأول.

[33] لم يعالج اللغويون القدامى الظروف العلاقية أو "ظروف الاقتران"، كما يسميها تمام حســـان، باعتبارهـــا قسما مستقلا. وحين عرضوا للبنيات التي يحتاج فيها ظرف الزمان إلى جملة بعده خرجوها على التعليق تشبيها لها بجمل الشرط وخرجوا الجملة التي تلي الظرف باعتبارها جواب الشرط ونزلوا بعض الظروف منزلــة أدوات الشرط. يقول عباس حسن "يكون الظرف مضافا للجملة التي بعده مباشرة، ومنصوبا بالعامل في الكلام المتأخر

ومن المزايا الإضافية لهذا التحليل، الذي يعتمد تأويل الماضي في المستقبل الافتراضي، أننا لم نعد في حاجة إلى تسوية البنية التي يكون فيها طرفا الشرط على صورة "فعل" بالبنية التي يكون فيها الطرفان على صورة "يفعل"، كما في (34)؛ ذلك أن بنيتهما الزمنيتين مختلفتان.

(34) إن تخرج أخرج

عالجنا فيما سبق مسألة تناوب الصيغ في جمل الشرط وأجبنا عن الأسئلة التالية: لماذا لا يقبل إطلاقا جواب الشرط، في البنيات التي يكون فيها متقدما عن جملة الشرط، صورة الزمن الماضي. ولماذا لا تأخذ جملة الشرط، إطلاقا، صورة الحاضر أو المستقبل. ولماذا يقبل، فقط، البنية التي يكون فيها الجواب في صورة الحاضر/ المستقبل وجملة الشرط في صورة الماضي. ماذا عن جواب الشرط، حين لايكون متقدما عن الشرط، كما في البنيات التالية (35):

(35) أ) إن خرجت خرجت

ب)*إن تخرج خرجت

ج) إن خرجت أخرج

د) إن تخرج أخرج

عنها، المترتب عليها، كأنه جواب لها، معلق عليها كتعليق الجواب على الشرط." *النحو الوافي*، ج. 2، ص. 287، هامش رقم 4.

تعتبر الجملة (35ب) غير ممكنة، بسبب خرقها قيد البنية الزمنيـــة المشـــتقة.[34] ومثلما لا توجد (32ب) لاتوجد (35ب). أما البنيتان (35ج) و(35د)، وفـــق التحليل الذي قدمناه أعلاه، لاوجود فيهما للقلب، كما أن بنيتيهما الزمنيتـين مختلفتان. يبقى المشكل مطروحا بالنسبة للبنية (35أ)، حيث جواب الشـوط في صورة الماضي، بالرغم من أنه لا يعبر عن الزمن الماضي، وبالرغم من غياب ما يمنعه من أن يأتي على صورة "يفعل". إن الحل الذي نقترحه، مرحليا، هـو أن تكون البنية (35أ) بديلة للبنية (35ج). كما يمكن أن نفترض أن مسوغ قلـب "فعل" في هذه البنية يرجع بالأساس إلى كون العلاقة السببية التي يعكسها طرفا الشرط، تؤمن أن يقع، بالضرورة، زمن جواب الشرط بعد زمن جملة الشرط. والقيد الوحيد في هذه الحالة، هو ألا يسبق زمن الجواب زمن الشرط، كمـا يبين لحن (32ب).

خاتمة

بينا أن أدوات الشرط موجهات تحمل تخصيصا يهم الوجهة، حيث تتعلـق "إنْ" بالحدث المشكوك في وقوعه (أو المحتمل افتراضا). وتتعلق "لو" بـالحدث

[34] انظر الباهي (2001) الفصل الثالث من القسم الأول من الباب الأول.

الممتنع أو المستحيل الوقوع. وهذان المعنيان يتفاعلان مع الزمن؛ حيث يكون الحدث المشكوك فيه في الغالب في المستقبل الواقعي (إن تخرجْ أخرج)) أو المستقبل اللاواقعي (الماضي في المستقبل الافتراضي) (إن خرجت خرجت). أما الحدث المقطوع بعدم وقوعه فيتقاطع والتعبير بالزمن الماضي لكن ليس ضروريا. وبما أن أدوات الشرط لا تحمل زمنا، فقد بينا أن مسألة القلب، التي يصف النحاة من خلالها تغير الصيغ مع "إن"، غير واردة. كما بينا أن الأشكال التي اعتبرت في الشرط متماثلة، تتوفر على بنيات زمنية مختلفة. وقد قادنا هذا التحليل إلى مقاربة أدوات الشرط باعتبارها ظروفا للاقتران، إلا أنها تختلف عنها في كونها لا تربط بين حدثين واقعيين.

المراجع

الأسترابادي، رضي الدين، شرح *كافية ابن الحاجب*، دار الكتب العلمية، بيروت، 1979، (ط.2).

الباهي، أحمد: 2000، الحاضر المكتمل في العربية، في *البنى الزمنية وأشكالها*، وقائع الأيام اللسانية الوطنية، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب وجمعية اللسانيات بالمغرب.

الباهي، أحمد: 2001، *التأويل الزماني في اللغة العربية*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب، الجديدة، جامعة شعيب الدكالي.

بوخلخال، عبد الله: 1987، *التعبير الزمني عند النحاة العرب*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

ابن هشام، جمال الدين الأنصاري، *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، 1969، (ط.2).

ابن يعيش، أبو البقاء، شرح *المفصل*، عالم الكتب، بيروت.

حامد، عبد القادر، معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم، *مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة*، ج. **10** (1958) وج. **13** (1961).

حسان، تمام، *اللغة العربية: معناها ومبناها*، دار الثقافة، البيضاء.

حسن، عباس: 1980، *النحو الوافي*، دار المعارف، القاهرة، (ط. 5).

سيبويه، عمرو بن عثمان، *الكتاب*، تحقيق عبد السلام هارون. عالم الكتب 1983، (ط.3).

الفاسي الفهري، عبد القادر: 1990، *البناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة والجملة*، دار توبقال، البيضاء.

الفراء، أبو زكريا، *معاني القرآن*، ج.2 تحقيق علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة، د.ت.

الفراء، أبو زكريا، *معاني القرآن*، ج. 3، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل وعلي النجدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، *المقتضب*، تحقيق عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

المرادي، الحسين بن قاسم: 1983، *الجنى الداني في حروف المعاني*، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (ط.2).

Comrie, B.: 1986, Conditionals: A typology, In *On Conditional,* Edited by E.Traugott and Others, Cambridge, University Press, Cambridge. P. 77-99.

Fassi Fehri, A.: 1993, *Issues in the Structure of Arabic Clauses and Words*, Kluwer Academic Publishers, Dordrecht.

Greenberg, J.H.: 1986, The realis-irrealis continuum in the classical Greek conditional,. In *On conditionals,* , pp.247-264, Edited by E. Traugott and Others.

Haiman, J.: 1978, Conditionals are Topics, *Language* **54**: 565-589.

Hale, K. and Keyser, J.: 1986, Some Transitivity Alternations in English, *Lexicon Project Working Papers* 7, MIT Center for Cognitive Science, Cambridge, MA.

Harris, M.B.: 1986, The historical development of si-clauses in Romance, In *On conditionals,* pp. 265-284, Edited by E. Traugott and Others, Cambridge University Press, Cambridge.

Hornstein, N.: 1990, *As Time Goes By: Tense and Universal Grammar*, MIT Press, Cambridge, Mass.

Konig, E.: 1986, Conditionals, Concessive conditionals and concessives and neutralization. Areas of contrast, overlap, In *On conditionals,* pp. 229-264, Edited by E. Traugott and Others, Cambridge University Press, Cambridge.

Palmer, F.R.: 1979, *Modality and the English modals,* London: Longman, Second impression.